



رواية سيدات القمر: منظور اجتماعي

تنسيم. أي. كي. ١

رواية «سيدات القمر» رواية ثانية لجوخة الحارثي، ولا تزال هذه الرواية بجائزتها المختلفة معروفة في الأدب العربي. جوخة الحارثي هي كاتبة وأكاديمية عمانية. أصبحت جوخة الحارثي على أول شخصية عربية تفوز بجائزة مان بوكر الدولي عن روايتها سيدات القمر. الأكاديمية الأمريكية مارلين بوث (مارلين بوث أستاذة في الأدب العربي في جامعة اوكسفورد) التي ترجمت الرواية من العربية إلى الإنجليزية. هذه هي المرة الأولى التي يفوز فيها كاتب أو كاتبة عربية بهذه الجائزة التي تنافست عليها هذا العام ستة أعمال صادرة بلغتها الأصلية وترجمت إلى اللغة الإنجليزية، وصدرت في بريطانيا. وكانت جوخة عند الكشف عن وصولها إلى القائمة النهائية المرشحين للجائزة، إن روايتها تغطي لمحة عن الحياة الغنية للأسرة وخاصة النساء عبر الشقيقات الثلاث اللواتي شهدن مرحلة التغيير والتحول في المجتمع العماني وكيف تتعامل عائلتهن مع هذه التغيرات.

تدور أحداث الرواية في قرية العوافي في سلطنة عمان، حيث تواجه ثلاث شقيقات، ميا التي تزوجت من عبد الله بعد مشاكل كثيرة، وأسماء، وخولة التي تنتظر حبيبها الذي

١ . قسم دراسات الماجستير والبحوث، كلية فاروق، كيرلا، الهند.

هاجر إلى كندا. وكذلك تعكس قصص الشقيقات الثلاث تطور عمان من مجتمع تقليدي يمتلك العبيد معقدة.

الروائية جوخة تفسر في روايتها الحب والحرمان على المجتمع العماني بمختلف طبقاته وفئاته، من أفقر أفراده إلى الأثرياء الذين ظهروا حديثا في عمان ومسقط. تبدأ الرواية من حجرة صغيرة لتنتهي في عالم ارحب. إن إيقاع الرواية أهدأ من الروايات الأخرى التي وصلت للمرحلة النهائية من المنافسة وتمييزها «اللغة الشعرية الماكرة». كأنها دراما محلية تدور في عالم ساحر، ولكن مع الشحنات الفلسفية والنفسية والشعرية التي تحملها الرواية ينجذب القارئ إلى السرد من خلال العلاقات التي تربط الشخصيات. لقد شجعت هذه الرواية على القراءة بطريقة مختلفة في طريقة الاجتماعية والانسانية.

يتكلم فيها ضمير الغائب المهتم بتقديم المشاهد، وربط الصلة بين الأحداث وعلائق الشخصيات، ثم ضمير المتكلم، على لسان عبد الله ابن التاجر سليمان الذي بنى أرباحه الواسعة من الاتجار بالرقيق. ومن خلال صوت الإبن نتابع نموذجا من حياة ينتهي إلى ثمانينات القرن العشرين. تسعى الرواية إلى أن تلامس مسار المجتمع العماني على امتداد ما يقارب مائة سنة. شخصيات تنتهي إلى أسرتين تعيشان في قرية العوافي، هما أسرة عزان زوج سالمه وأبوميا وأسماء وخولة، وعائلة التاجر سليمان وإبنة عبد الله زوج ميا وأبولندن الطيبية الشابة. ومن خلال المراوحة بين الخاص وتفصيله (الزواج، الولادة، علائق الحب والخيبة، مشاهد الحياة اليومية)، واستحضار ما هو تاريخي وعام (الاحتلال البريطاني، الاتجار بالأسلحة والرقيق، تحديث المباني والمرافق في السلطنة)، ترتسم الملامح من تحولات المجتمع العماني التي تحتل المرأة الصدارة فيها. لكن ما يستحق التسجيل، هو أن الإحالة على التاريخي والأحداث العامة لا تأخذ حيزا كبيرا، وتأتي في تلميحات عابرة، تذكيرية، لا تشوش على المجرى الروائي النابض بالشخصيات والمشاعر والإيحاءات. وما يزيد تقوية الجانب الروائي على الطابع التاريخي.

لعل أكثر ما سيلاحظه القارئ في سيدات القمر هو أنها رواية تحكي حال البلد والنادي فيه، أكثر من كونها رواية شخصيات أو مواقف أساسية، رغم تركيز السرد على حكايات «ميا» و«خولة» و«نجية القمر» و«ظريفة العبد» وغيرهن من شخصيات تم رسمهن

وتصوير تفاصيل حياتهن بعناية، إلا أن حضور الرجال كان واضحاً أيضاً، لا سيما في سرد عبد الله لحكايته وطريقة بناء بعض شخصيات الرواية من خلاله، كما يحضر والده «التاجر سليمان».

يكشف حضور المرأة في هذه الرواية من خلال شخصيات البنات الثلاث وأمهن سالمة، ومن ثم شخصية لندن ابنة ميا عن الدور المحوري الذي تلعبه تلك الشخصيات في أحداث الرواية وعالمها الحكائي، تأثرت ثقافات أوروبا، ذهبت إلى أوروبا للدراسة العليا. وتخرجت لندن في كلية الطب في جامعة السلطان. ولعل حملة الاستهلال التي تعني بتقديم شخصية ميا شقيقتها، وختام الرواية الذي يكشف عن التحول المفاجئ في شخصية خولة، من خلال طلبها للطلاق من زوجها أحمد، انتقاماً للسنوات العشر التي عاشتها متشبثة بحلمها، يدل على الدور الهام والفاعل، الذي تلعبه تلك الشخصية في أحداث الرواية وتحولاتها، التي تترافق مع التحولات التي كان تطراً على وضع تلك الشخصيات وموافقها وعلى الواقع الاجتماعي والاقتصادي المحيط. مقابل هذه الشخصيات تبرز شخصية عبد الله الدائمة السفر والتنقل بين مدن العالم المختلفة، بوصفها شخصية عاجزة عن الاستقرار والتكيف مع المكان، ما يعكس قلقاً وجودياً التعب والانهك التي تعاني منها في سفرها الدائم وعجزها عن الاستقرار.

تتضمن هذه الرواية عن طقوس وعادات في مجتمع العماني، نموذجاً حينما ولدت ميا للندن كانت هناك مختلفات كثيرة لتسمية اسم «لندن». «رتبت المرأة عليها وقالت لها: (يا ميا يا بنتي، ما زلت مصرة على هذا الاسم الغريب للمولودة؟ أحد يسمي بنته لندن؟ هذه اسم بلاد يا بنتي...بلاد نصارى..كلنا متعجبون جداً، أظن صحتك الآن تسمح لك بالتفكير مرة ثانية اسم للبننت..سميها على اسم امك سالمة)

قيم إنسانية واجتماعية:

أشارت رواية سيدات القمر إلى قيم إنسانية واجتماعية، هذه الرواية ترصد طبيعة التغيرات التي تشهدها سلطنة عمان والخليج العربي والعالم عامة، ومدى تأثير هذه التغيرات على المجتمعات والعلاقات الإنسانية والاجتماعية. وبالنسبة إلى ذلك تؤثر هذه التغيرات على القيم الإنسانية وأيضاً التقاليد الاجتماعية.

«أما الروائية، جوخة الحارثي، فقالت إن بلدها عمان ألهمها الكتابة، لكن القراء حول العالم سيجدون ما يثير اهتمامهم في الرواية لأنها تتناول موضوعي الحب والحرية وهما من بين القيم الإنسانية والاجتماعية. وتدور أحداث الرواية في قرية «العوافي» وتتناول حياة ثلاث شقيقات يعشن مرحلة التحول التي شهدتها المجتمع العماني ذوالطابع التقليدي المحافظ خلال الحقبة التي تلت مرحلة الاستعمار. كما تتناول الرواية في جانب منها مسألة العبودية في عمان. كانت هناك في القرية العوافي مشكلات العبودية. هناك كثير من العبود يعيرون عند بيت التاجر سليمان. وسنجر وحبیب قبل هربه، وخارج البيت غير بعيد عنه يعيش في بيوت صغيرة سويد وأخوه زعتر، وزيد-وزوجته مسعودة وابنتهما شنة، وحفيظة وأمها سعادة وبناتها الثلاث مجهولات النسب. وكل هؤلاء عبید أو معتوقو أبي بالوراثة. تفسر الروائية: «إن الناس اتهموا عن العبيد سنجر الذي يسرق خيش البصل مرة أخرى. قال التاجر سليمان لابنه: «يا ولد..يا ولد..اربط العبد سنجر في العمود الشرقي من الحوش ويا ويل من يقدم له الماء أو الظل». فرفضت بجانبه: «يا أبي الحكومة حررت العبيد من زمان وسنجر سافر للكويت».

تستلهم جوخة الحارثي أحداث روايتها من البيئة العمانية الغنية بالمروروث الشعبي، وتحيك تفاصيلها عبر ربط الجغرافيا والمكان بأبطال وعوالمهم الداخلية. وتقدم رواية «السيدات القمر» نساء يمثلن نماذج إنسانية جديرة بالتأمل من قبل القارئ الغربي، نماذج تخالف النظرية النمطية العربية للمرأة العربية أو الخليجية. تتحدث هذه الرواية عن مرحلة مهمة في عمان.

التشخيص في رواية سيدات القمر:

هناك كثير من الشخصيات الأولية والثانوية، وبالنسبة إلى ذلك أنهم علاقة وثيقة في المجتمع.

ميا: ميا إحدى الشخصيات الرئيسية في رواية سيدات القمر. ميا ابنة عزان وسالمة. تقدم فيها شخصية ميا من خلال علامتين مميزتين، وهما ماكينة الخياطة ماركة الفراشة. وهذه الماكينة هي حياة ميا. وكذلك والعشق الذي تستغرق في قلبها (عشق صامت لعلي بن خلف). خافت ميا لمعرفة عشقها في الجتمع، ولذلك عشقها عشق صامت. ولكن لا

تنجح عشقها. تفسرت جوخة في روايتها «حين رأت ميا علي بن خلف، كان قد أمضى سنوات في لندن للدراسة وعاد بلا شهادة. لكن رؤيته صعقت ميا في الحال. كان طويلا لدرجة أنه لامس سحابة عجلى مرقت في السماء، ونحيفا لدرجة أن ميا أرادت أن تسنده من الريح التي حملت السحابة بعيدا. كان نبیلا، كان قديسا. لم يكن من هؤلاء البشر العاديين الذين يتعرقون وينامون ويشتمون. (أحلف لك يا ربي إني لا أريد غير رؤيته مرة أخرى). ورأته، في موسم حصاد التمر، مستندا إلى نخلة وقد خلع كتمته لشدة الحر. رأته فبكت، انتحت عند أول الساقية وأجهشت في البكاء.» ميا التي تزوجت عبد الله ولد التاجر سليمان بعد مشاكل كثيرة. ثم حملت ميا وولدت بنتا ضئيلة. سميت لإبنتها اسم عجيب بإسم مكان معروف «لندن».

أسماء: وهي شقيقة ميا. ولها عينان جميلتان عسلتان واسعتان وأنف قصير. وهي تزوجت بغير حب، تزوجت كواجب اجتماعي.

خولة: وهي شقيقة ميا. هي من أصغر بنات سالمة، وهي جميلة متأنقة، وكذلك حنونة وناعمة وأحلى بنت في العوافي. وهي التي تنتظر حبيبها الذي هاجر إلى كندا. تبقى شقيقتهما خولة تنذر نفسها للرجل الذي ينساها لأجل علاقته بإمرأة أخرى أثناء دراسته الفاشلة في كندا، حتى تبدأ سنوات العذاب والتجاهل التي عاشتها تحفر في أعماقها إلى ان تقرر أخيرا الطلاق بعد عشر سنوات الزواج.

سالمة: هي أم ميا وهي ربة البيت، هي امرأة مسيطرة. كان الناس يلقبونها بـ«عروس الفلج». هي بيضاء ميالة للامتلاء، وجهها مدور ببشرة صافية، أنفها حاد، وعيناها نافذتان. لقد كانت سالمة حريصة دائما على تزيين كل شيء ما عدا جسدها.

عزان: هو زوج سالمة وأبو ميا وخولة وأسماء. لقد أصبح جدا وهو في منتصف الأربعين.

عبد الله: هو زوج ميا. وابن سليمان التاجر. وهو يحب ميا أكثر. (ميا. ميا. ميا. ميا. كان أجمل العالم، العالم الصغير، العالم الكبير) وهو ضمير المتكلم في هذه الرواية.

لندن: لندن طبيبة شابة وإبنة ميا وعبد الله. لندن كانت جميلة جدا، وتشبه ميا.

وهي في السادسة تحب اللعب في الماء. وكذلك تحب السفر كثيرا.

سنجر: وهو العبد في قرية العوافي. ولما حررت الحكومة العبيد من زمان وسنجر سافر للكويت. وابنة سنجر تزوجها عماني ورجعت لتعيش في مسقط. اتهم الناس أن سنجر يسرق خيش البصل.

ظريفة: أم سنجر وهي أمة سليمان. اشترى سليمان ظريفة أم سنجر بعشرين قرشا فضيا. ولم كبرت ظريفة زوجها حبيب. وولدت السارق سنجر وحبيب. كانت العبدة الوحيدة التي تشارك السيدات في الأكل من الصينية نفسها.

هناك شخصيات ثانوية أيضا في هذه الرواية مثل: حبيب، زوجة المؤذن، محمد، أحمد، نجية القمر، عنكبوتة، نصيب، منين، زايد، مسعودة، شنة، مروان، قاسم، امرأة عم عبد الله، نورة، مريم، خالد وما إلى ذلك.

خلاصة:

هذه الرواية تشجع القارئ أن تعرف معلومات مختلفة في مجتمع العماني. تعالج هذه الرواية عن قضايا المرأة والعبودية ومشكلات المجتمع العماني. أن هذه الرواية لونا راقا من ألوان الروايات في الأدب العربي. أن روائية جوخة الحارثي حاولت محاولة جادة لإلقاء الضوء على هذه الرواية.

المصادر والمراجع

- جوخة الحارثي، سيدات القمر، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
- عزيزة الطائفة، الخطاب السرد العماني: الأنواع والخصائص ١٩٣٩-٢٠١٠ دراسات، دار الفارس للنشر والتوزيع.